الفصل الثاني

تأسيس ونشوء الإمارة الكسادية في المكلا

المبحث الأول: مدينة المكلا:

- أولاً: تسمية المكلا
- ثانياً: موقع المكلا
- ثالثاً: المكلا قبل استيلاء الكسادي عليها
- رابعاً: استيلاء الكسادي على المكلا وتأسيس الإمارة الكسادية فيها.

المبحث الثاني: اهتمام الكسادي بالمكلا:

- أولاً: الإجراءات الكسادية لإقرار الأمن وتنظيم السلطة السياسية في المكلا.
- ثانياً: الاهتمام الكسادي بتنظيم موارد الإمارة.
- ثالثاً: الاهتمام الكسادي بحماية المكلا وعمرانها.

المبحث الثالث: دور أبرز الأمراء الكساديين في تأسيس وبناء الإمارة الكسادية:

- أولاً: عهد النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي.
- ثانياً: عهد النقيب محمد بن عبدالحبيب الكسادي.
- ثالثاً: عهد النقيب صلاح بن محمد الكسادي.
- رابعاً: عهد النقيب عمر بن صلاح الكسادي.

المبحث الأول

مدينة المكلا

أولاً: تسمية المكلا:

تعددت آراء المؤرخين حول أصل تسمية المكلا بهذا الاسم حيث يرجع البعض في هذه التسمية إلى الأصل اللغوي لكلمة (المكلا)، وتعني الحراسة ومنها تأتي كلمة (كلأه) أي حرسه وحماه كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم(١) بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنبياء: ٤٢](٢)، ويرى الأستاذ الخنبشي بأن الكلاء والمكلا تعني مرفأ السفن، وفي التهذيب : الكَلَّاءُ بالمدّ : مكانٌ تُرْفَأُ فيه السُّفُن وهو ساحلُ كلِّ نهرٍ كالمُكَلِأ مهموزٌ مقصورٌ، وكلأتُ تكلِئة أي إذا أتيت مكاناً فيه حماية من الرياح، والموضع يطلق عليه مُكلأ وكلاءُ، ومن ذلك تبين أن كلمة (مكلأ)

---

(١) يَكْلَؤُكُمْ: تعني يحفظكم و يحرسكم. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، مختصر تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، المجلد الثاني، تحقيق: محمد علي الصابوني، والدكتور صالح رضا، الطبعة الأولى، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص٦٥. ابن كثير: إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ص١٨٨.

(٢) القرآن الكريم: سورة الأنبياء، الآية ٤٢. الخنبشي: سالم أحمد، حارات المكلا، دار حضرموت للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م، ص١٤.

بالهمزة معناها مرفأ السفن الذي تحتمي فيه من الرياح، واستخدمت هذه اللفظة مقصورة بجعل الهمزة ألفاً من آخرها حسب ما جاء في التهذيب بهذا المعنى[١].

وهناك من يشير إلى أن تسمية المكلا بهذا الاسم جاء لوجود مراعي بها تنبت فيها أنواع من الكلأ تأكله الإبل والأغنام، ثم صرف اسمها من المكلأ إلى المكلا[٢].

كما أطلق على مدينة المكلا أسماء عديدة منها (الخيصة) وهو اسم حمل مدلولات عديدة فهي تعني عند أهل الساحل الحضرمي الفرضة (أي الميناء الصغير)[٣]، كما أنها اسم يطلق على المنطقة التي توجد بها (سبخة) أي ملوحة في تربتها، وتكون على ساحل البحر[٤].

أما في اللهجة المحلية فهي تعني ذلك الجزء الوعر من الساحل الذي لا تغطيه مياه الأمواج عند اصطدامها باليابسة فضلاً عن أن (الخيصة) تعني أيضاً موضع الأكواخ الخاصة بحفظ أدوات الصيادين[٥].

---

(١) الخنبشي: حارات المكلا، المرجع السابق، ص ١٤. الزبيدي: محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق: عبدالستار أحمد فرج، سلسلة التراث العربي رقم (٦)، الكويت ١٩٦٥م، ، ص٤٠٢ - ٤٠٨.

(٢) باحاج: عبدالله سعيد، موانئ اليمن وخليج عدن دراسة جغرافية، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨٢م، ص٢١٦.

(٣) السقاف: إدام القوت، المصدر السابق، ص١١٠.

(٤) الخنبشي: المرجع السابق، ص١٥.

(٥) الخضر: سالم عمر، وبن بدر: عبده عبدالله، المكلا عروس البحر الحضرمية، صنعاء، ١٩٩٥م، ص٢٨.

ومن أسماء مدينة المكلا أيضاً (السوق) وقد سميت بذلك؛ لأنها كانت تشكل مركزاً تجارياً مهماً لتبادل السلع[١].

كما سميت مدينة المكلا أيضاً بـ(المكنّة)[٢]، و(بندر يعقوب)[٣]، وبالنظر في كل هذه الأسماء وفي الأصل اللغوي لاسم المكلا يتبين أن الظروف الطبيعية والموقع الجغرافي لمدينة المكلا وميناءها هي التي فرضت كل هذه التسميات عليها، وتعني في الغالب مرفأ السفن وملاذها عند اضطراب مياه البحر في فصل الخريف.

ثانياً: موقع المكلا:

تقع مدينة المكلا على بعد ٢٥٠ ميلاً تقريباً شرقي مدينة عدن، وتطل مباشرة على ساحل بحر العرب، ويحتضن الأحياء القديمة منها من الناحية الشمالية (جبل قارات)[٤]، والذي يطلق عليه سكان المكلا اسم (القارة)، والذي يكسبها حصانة طبيعية.

---

(١) الخنبشي: حارات المكلا، المرجع السابق، ص١٥.

(٢) المكنّة: حصل تحريف في هذا الاسم حيث قلبت نونها لاماً فقالوا: (المكلا)، كما أطلقوا على الغنم اسم (الغلم). الملاحي: المذكرة التاريخية، المصدر السابق، ص٢٥٢. الناخبي: عبدالله بن أحمد، حضرموت فصول في الدول والأعلام والقبائل والأنساب، جدة، ١٩٩٩م، ص٦٤.

(٣) بندر يعقوب: هو يعقوب بن يوسف الذي يوجد ضريحه في مقبرة شرق المكلا، جاء إليها من بغداد، ووافته المنية قرب المكلا، ودفن فيها سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م، باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٩٧ - ٩٨.

(٤) جبل قارات: يقع خلف مدينة المكلا، ويمثل حماية لها من جهة الشمال، ويبلغ ارتفاعه ٢٠٠ قدم تقريباً، ويعرف عند الأهالي بجبل القارة.

ومن حيث الموقع الفلكي تقع مدينة المكلا بين دائرة عرض ٣٢° و ١٤° وخط طول ١٠°و٤٩°[١]، وهناك تفاوت يسير في بعض الخرائط[٢] بهذا الشأن.

ثالثاً: المكلا قبل استيلاء الكسادي عليها:

ذكر المؤرخ عبدالله بن أحمد الناخبي أن الملك الحميري (سيف بن ذي يزن) نزل بجيشه الفارسي الذي أتى به لاسترجاع بلاده من الأحباش بها، ودلل على ذلك بمجموعة من الاستنتاجات التي توصل إليها لإثبات وجود مدينة المكلا منذ ذلك العهد وأهمها:-

أ- أن (سيف بن ذي يزن) قد خطط للهجوم على اليمن من عدة جهات براً وبحراً، وجعل المكلا مركزاً لقيادته، واستدل على ذلك بما وجد من آثار حوافر الخيل في منطقة الديس بالمكلا، وهذا من نتائج حفريات البعثة المصرية التي زارت حضرموت، وقد كانت هذه المنطقة عبارة عن غابة ظليلة بالأشجار، ولذلك فإنه يجوز أن (سيف بن ذي يزن) قد اختار المكلا مرفأ مناسباً لرسوّ سفنه فيها[٣].

---

(١) ثابت: عبدالرقيب سعيد، ويوسف: عبدالحكيم محمد، استخدام الأرض في محافظة حضرموت، بحث مقدم إلى الندوة العلمية كلية التربية المكلا، ١٩٨٧م، ص١٢.

(٢) تقع بين دائرة عرض (٥١٣- ٥٥٠- ٥١٤) أي أربع عشرة درجة، وخمسين دقيقة، وثلاث عشرة ثانية، وخط طول (٤٤ - ١٤- ٤٧) أي سبع وأربعين درجة، وأربع عشرة دقيقة، وأربع وأربعين ثانية. الحداد: علوي بن طاهر بن عبدالله بن طه، الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، تريم، ٢٠٠٥م، ص٢٥.

(٣) حضرموت فصول في الدول والأعلام، المرجع السابق، ص٦٤.

ب- وجود منابع للمياه بالقرب من مدينة المكلا في المكان المسمى (باكز يبور)، ولا يعلم من الذي حفر هذه المنابع وغرس حولها الأشجار، وإن كانت المياه تجري على وجه الأرض ولا سيما في منطقة وادي سقم والبقرين وتزداد في مواسم الأمطار، ولذلك فإن كلمة (باكز يبور) قد تكون محرفة من «باغ سابور» الذي كان اسماً شائعاً في جيش الملك الحميري (سيف بن ذي يزن)، فـ(الباغ) معناه الحديقة، و(سابور) اسم يطلق على كثير من رجالات الفرس، وفي العهود المتأخرة كانت عمارة البقرين على يد جماعة من الشحر يقال أنهم آل باقرين[١].

ج- أن (سيف بن ذي يزن) جعل المعتقل لأسرى الحرب الأحباش في وادي حجر، ومن المحتمل أنه نقل إلى هذا الوادي النساء والصبيان الصغار من الأحباش، وهؤلاء هم يشكلون اليوم غالبية المستخدمين في فلاحة الأرض من منابع هذا الوادي حتى مصبه، وهؤلاء معرفون في أغلب مناطق حضرموت بـ(الحجور)[٢].

د- ورد في التاريخ اسم لميناء في ساحل حضرموت يقال له (مثوب) نزل فيه جيش (سيف بن ذي يزن)، ويقع هذا الميناء بالقرب من المكلا، كما جاء ذكر (رأس المزربان) بالقرب من المكلا أيضاً، ولعله المسمى الآن بـ(الرأس) شرق المكلا، وهذا الاسم معروف في الجيش الفارسي، ومن المحتمل أن يكون ابنه الذي

(١) رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص١٨٦، ١٨٧.
(٢) حضرموت فصول في الدول والأعلام، المرجع السابق، ص٦٥.

تولى إدارة اليمن فيما بعد[١].

ويتفق الباحث مع بعض الاستنتاجات التي توصل إليها المؤرخ الناخبي مثل وجود المكلا منذ عهد الملك الحميري (سيف بن ذي يزن) كمنطقة على الخارطة الجغرافية، ولكنها لم تكن لها أي أهمية أو دور يذكر في تلك الفترة، ولا نستبعد أن يكون وجودها أقدم من ذلك الزمن، كما أن الباحث لا ينفي ما ذهب إليه المؤرخ الناخبي من أن (سيف بن ذي يزن) قد نزل بجيشه بها لذكر ميناء (مثوب) الذي يقع في ساحل حضرموت، و(رأس المزربان)، وما توصلت إليه البعثة المصرية للآثار، ولكن أن يكون (سيف بن ذي يزن) قد اتخذها مركزاً لقيادة جيشه فلا يبدو الأمر منطقياً؛ وذلك لبعد المكلا عن ساحة المعركة مع الأحباش في اليمن، ولعل المؤرخ الناخبي قد قصد بذلك أن (سيف بن ذي يزن) اتخذها مركزاً لإنزال وتجميع القوات الفارسية عند وصوله إليها.

والجدير بالإشارة إليه هو ورود ذكر المكلا في أواخر القرن الرابع الهجري الموافق القرن العاشر الميلادي، وهو أن الشيخ المنصوري الجعفري (الخبير بشئون البحر) كان يبحر بسفينة من أرض الجعافرة بعُمان إلى المكلا والمناطق المجاورة لها، وكان ذا شخصية قوية مكنته من فرض نفسه على سكان المكلا الصيادين الذين كانوا يحتكمون إليه في قضاياهم وخلافاتهم، ومما يؤيد ذلك وجود آل بكيران الذين ينتهي نسبهم إلى المنصوري، واشتغالهم في مهنة الصيد، وقد ظل هذا

(١) سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، المرجع السابق، ص١٤٧. الناخبي: حضرموت فصول في الدول والأعلام، المرجع السابق، ص ٦٥، ٦٦.

الوضع قائماً على ذلك الحال حتى ضعف المنصوري، وبرزت قبيلة العكابرة[١] وبني حسن[٢] اللتان ادعتا أنهما اشترتا من المنصوري المكلا والأرض الممتدة من منطقة (فلك) شرقاً إلى (العظام)[٣] غرباً[٤].

كما ورد أيضاً ذكر للمكلا في القرن الخامس الهجري عندما اضطرت سفينة شراعية كانت قادمة من الحجاز في طريقها إلى ميناء الشحر إلى الرسوّ في المكلا، وكانت تحمل على ظهرها الشيخ يعقوب ابن يوسف[٥] وأفراد أسرته حيث ألمَّ بالمذكور مرض قبالة ساحل

(١) قبيلة العكابرة: هي إحدى بطون قبيلة نوّح، ويتصل نسبها بحمير، وتتكون قبيلة العكابرة من أفخاذ، آل برجف، آل مقبل، آل بازبيدي، آل باراجح، آل سليمان، آل سعيد، الشحتيين، وتسكن فروع هذه القبيلة منحدرات الجبال الجنوبية من المكلا إلى وادي دوعن. الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٣٥٨. المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المرجع السابق، ج ٢، ص١١٠٠.

(٢) بنو حسن: فخذ من قبيلة سيبان الحميرية، ويسكنون الجبال القريبة من ساحل البحر، ومن فروعهم آل باخميس، آل باحنحن، آل باضلاع، آل بارعيدة، آل عبدالرحيم (باحاج). الشاطري: المرجع نفسه، ص٣٥٨.

(٣) منطقة تقع في وادي الخربة بساحل حضرموت.

(٤) الناخبي: رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص١٨٩.

(٥) هو الشيخ يعقوب بن يوسف بن علي بن طراد، ولد في مدينة بغداد سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م، وتوفي والده وهو صبي صغير، فكفله جده علي بن طراد، وكان وزيراً لأحد الخلفاء العباسيين، هاجر من بغداد في عهد الخليفة المقتدي في عام ٥٣١هـ/ ١١٣٦م هرباً من الفتنة، وكان الشيخ عبدالقادر الجيلاني قد أشار عليه بالهجرة إلى أطراف اليمن؛ لأنه أسلم للعرض، وأبعد عن الفتنة، وأخف للمعيشة، وقد اتجه أولاً إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ثم أبحر من =

المكلا؛ فاضطرت السفينة إلى الرسو في المكلا من أجل راحة المريض، وتوفي الشيخ يعقوب بن يوسف - وهو رجل صالح - في المكلا عام (٥٥٣هـ/ ١١٥٨م)، ودفن بجانب الكثيب الأبيض، ومن حينها قامت مقبرة (يعقوب) المشهورة في مدينة المكلا[١]، وبدفن الشيخ يعقوب بن يوسف في المكلا أخذت القبائل المجاورة تنقل موتاها إلى هذه المقبرة لدفنهم بقربه تبركاً به، كما بدأ انتقال بعض السكان من روكب[٢] إلى المكلا، وكانت المكلا حينذاك لا تزال خيصة صغيرة يسكنها بعض الصيادين[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أنه ورد ذكر للمكلا في عهد السلطان بدر بن عبدالله الكثيري المكنى (بوطويرق) الذي حكم في الفترة من (٩٠٢هـ - ٩٧٧هـ/ ١٤٩٦م - ١٥٦٩م) بكونها لا تزال خيصة للصيادين تستخدم كملجأ للسفن[٤]، وعندما كانت الدولة الكثيرية تسيطر على الساحل الحضرمي كانت المكلا تابعة لها حتى

= هناك باتجاه حضرموت، وعندما وصل قبالة ساحل المكلا ألم به المرض فاختار النزول فيها إلا أن المنية عاجلته حيث توفي هناك في عام ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م. نقلاً عن باوزير: أحمد عوض، شهداء القصر، دار الهمداني، عدن، بدون تاريخ، ص ٢٧. بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت العام، المرجع السابق، ص١١٦.

(١) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٩٩. باوزير: شهداء القصر، المرجع السابق، ص ٢٧. الخنبشي: حارات المكلا، المرجع السابق، ص١٦.

(٢) قرية تقع على ساحل بحر العرب شرق مدينة المكلا، وتبعد عنها بحوالي ١٥ كيلومتراً تقريباً.

(٣) السقاف: إدام القوت، المصدر السابق، ص١١٠.

(٤) السقاف: بضائع التابوت، المصدر السابق، ج ٢، ص١٦١.

نشب الخلاف بين أفراد الأسرة الكثيرية واستنجد سلاطينها بمجاميع من قبيلة يافع لمعاونتهم في الاحتفاظ بالسلطة[١].

في عام (٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م) وصل إلى المكلا الجدياني[٢] اليافعي جد آل بكير الأول في حضرموت على ظهر سفينة كانت في طريقها إلى الهند؛ بحثاً عن لقمة العيش[٣]، وعندما نزل الجدياني بساحل المكلا وجد فيها معركة تدور على البر بين بادية المناطق المحيطة بها وحقناً للدماء عرض عليهم وساطته في إنهاء القتال فوافقوا على ذلك وحكموه في الأمر، وتمكن الجدياني من إيقاف القتال وإنهاء النزاع وإبرام الصلح بينهم، ومكافأة له على ذلك واستشعاراً منهم بأهمية بقائه في المكلا عرضوا عليه أن يكون حاكماً عليها، وبأن يحصل على بعض الأموال من الضرائب التي كانت تؤخذ من الصيادين، وقد وافق الجدياني على هذا العرض وأصبح حاكماً للمكلا حتى أزاحه آل كساد منها باستيلائهم عليها فيما بعد[٤]، وظلت المكلا تحت حكم الجدياني قرية صغيرة خاملة الذكر، يرتادها الصيادون الذين كانوا يتخذون من أماكن ينابيع المياه في الجبال المحيطة بها سكناً لهم.

---

(١) طه: جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ١٧٩٨- ١٩٦٣م، دار الفكر العربي، القاهرة ط ٢، بدون تاريخ، ص٢٠٥.

(٢) أشار السقاف في بضائع التابوت أن وصول آل الجدياني كان على شكل جماعي من يافع، وأن كبيرهم الجدياني هو الذي أصبح حاكماً للمكلا فيما بعد.

(٣) زبال: سليم، استطلاع عن مدينة المكلا عاصمة حضرموت ومفتاح جنوب الجزيرة العربية، مجلة العربي، العدد (٧٩) يونيو ١٩٦٥م، ص٧٤.

(٤) السقاف: بضائع التابوت، المصدر السابق، ج ٢، ص١٦٠. الناخبي: رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص١٩٠.

رابعاً: استيلاء الكسادي على المكلا وتأسيس الإمارة الكسادية فيها:

سبق أن تناول البحث في الفصل الأول موضوع سيطرة الأفخاذ اليافعية على حضرموت عقب اضطراب الأوضاع فيها، وذلك على حساب الدولة الكثيرية التي أخذت في الاضمحلال أمام صعود نفوذ الأفخاذ اليافعية منذ القرن الثاني عشر الهجري الموافق القرن الثامن عشر الميلادي عندما سيطرت هذه الأفخاذ على أهم المدن الحضرمية، وكان فخذ آل كساد إحدى تلك الأفخاذ اليافعية التي استطاعت إن تنشأ لها إمارة في ساحل حضرموت.

وقد تعددت روايات المؤرخين واختلفت حول البدايات الأولى لسيطرة آل كساد على المكلا، وكيفية تأسيس إمارتهم بها، وكانت المكلا قبل وصول آل كساد إليها خيصة لبني حسن والعكابرة الموالين للدولة الكثيرية من القرن العاشر حتى القرن الثاني عشر للهجرة الموافق القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر للميلاد، ومن أهم هذه الروايات ما يأتي:-

أ- الرواية الأولى:-

تذكر هذه الرواية بأن جماعة من آل الجدياني اليافعيين مروا بالمكلا في عام ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م فأعجبهم موقعها وحصانتها فاستوطنوها، وأصبح أمرها بيد رئيسهم يرجعون إليه في كل أمورهم حتى صار حاكماً عليهم، وكان كبير آل كساد وقتئذ واسمه (سالم) موجوداً بالمكلا، فخاف من تنامي الجدياني فقام باغتياله، واستقل بالمكلا، واستمر يحكمها حتى تم اغتياله من قِبل شخص آخر من

أفراد الأسرة الكسادية هو سالم بن أحمد بجحم الكسادي الذي حكم المكلا لمدة عام واحد[١].

ب- الرواية الثانية :-

تشير إلى أن آل كساد نزلوا في تريم، وأن جدهم (ذي ناخب) طلب من أحد أولياء تريم أن يدعو له الله بأن يرزقه بمال يسد حاجة نزلت بهم، فأشار عليهم بالذهاب إلى المكلا للإقامة فيها[٢]، وأن فخذ (ذي ناخب) قد استوطنوا المكلا في أواخر القرن الحادي عشر أو بدايات القرن الثاني عشر للهجرة الموافق القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر للميلاد، حيث أخذ جدهم يمارس التجارة مع تجار نقل البضائع وأصحاب السفن، ويوفر الحماية والأمان لهم ولسفنهم وبضائعهم، وكان يمنح جزءاً من المال لقبيلتي العكابرة وبني حسن، حيث ظل على ذلك الحال حتى قويت شوكته وتعزز وضعه فأصبح أميراً على المكلا[٣].

ج- الرواية الثالثة :-

تذكر هذه الرواية أن آل كساد كانوا جزءاً من الحاميات التي

---

(١) السقاف: بضائع التابوت، المصدر السابق، ج ٢، ص١٦١. عكاشة: محمد عبدالكريم، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت ١٨٣٩-١٩١٨م، عمان، الأردن، ١٩٨٥م، ص٣٦.

(٢) السقاف: المصدر نفسه، ج ٢، ص١٥٩. الناخبي: رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص٣٧.

(٣) السقاف: المصدر نفسه، ج ٢، ص١٥٩، ١٦٠. عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص٣٧.

يتكون منها جيش الدولة الكثيرية، وكانوا متمركزين في الحامي[١] والديس الشرقية[٢]، وقد سيطروا عليها بعد سقوط الدولة الكثيرية، فكانت حامية الحامي تتكون من عائلة أحمد بن علي الكسادي، وحامية الديس تتكون من عائلة حسن بن صلاح الكسادي.

واشتهر عن آل كساد حبهم للملاحة والتجارة البحرية حيث برز منهم ملاحون وتجار منهم سالم بن صلاح الكسادي[٣]، الذي كان يتردد بسفينته على المكلا للأغراض التجارية حتى طابت له الإقامة بها والاستقرار فيها، ولا سيما وأنه كان محبوباً بين الناس، وبعد وفاته تمكن ابنه أحمد من إنشاء الإمارة الكسادية فيها عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، وهي أول إمارة يافعية تقام في حضرموت[٤].

د- الرواية الرابعة[٥]:-

تفيد هذه الرواية بأن صلاح بن سالم الكسادي كان موجوداً في

(١) الحامي: قرية تقع على ساحل بحر العرب، وتبعد عن مدينة المكلا بحوالي ٩٠ كم، وتتبع إدارياً مديرية الشحر حيث تبعد عنها بحوالي ١٠ أميال تقريباً.

(٢) الديس الشرقية: قرية تقع إلى الشرق من مدينة الشحر، وتبعد عنها بحوالي ٢٠ ميلاً.

(٣) سالم بن صلاح الكسادي: اختلف المؤرخون حول صاحب هذه السفينة فقيل: إنه ليس سالم بن صلاح وإنما هو عبيد بن صلاح، وقيل: إن اسمه محمد بن صلاح، ولكن بالعودة إلى شجرة أنساب الأسرة الكسادية التي حكمت المكلا لم نجد أحداً بهذا الاسم، ولعل الأمر قد اختلط على بعض المؤرخين وأن الشخص هو سالم بن صلاح الكسادي.

(٤) الناخبي: رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص٩١. بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت العام، المرجع السابق، ص٩، ٩١.
الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر الحضرمية، ص٢٩، ٣٠.

(٥) هذه الرواية أخذها المؤرخون عن المعمر الشيخ أحمد بن مرعي بن علي بن ناجي، وقد رواها عنه حسن بن أحمد العطاس المتوفى بالمكلا ١٣٦٤هـ/ ١٩٤١م.

غيل بن يمين، وعندما ازداد شره طرده الشناظير[١] اليافعيون منها، فالتجأ إلى حاكم الشحر علي بن ناجي بن بريك اليافعي[٢]، الذي قام بإيوائه هو وأولاده عبدالحبيب، وعبدالرب، وعبدالنبي[٣]، وكانت لصلاح ابنة جميلة تُدعى (عائشة) استهوت قلب علي بن ناجي فطلب من أبيها يدها مثيراً بذلك استياء بقية أفراد الأسرة البريكية التي كانت تخشى من طموح ومطامع صلاح بن سالم الكسادي في الاستيلاء على السلطة في مدينة الشحر؛ ولهذا السبب اتفقوا على قتل صلاح بن سالم الكسادي والتخلص منه، ولكن علي بن ناجي لم يمكنهم من ذلك فقد قرر السفر إلى المكلا مصطحباً معه عمه صلاح الكسادي وجميع أفراد أسرته، وكانت المكلا تتبع وقتئذ العكابرة وبني حسن، وفي المكلا شيد علي ناجي بن بريك لعمه صلاح الكسادي ولأفراد عائلته حصناً

(١) الشناظير: جمع شنظير وهو الفاحش الغلق من الرجال، الذي يشتم أعراض الناس، وهو لقب أطلق على فئة من العسكر اليافعيين الذين حكموا بعض مناطق حضرموت إبان فترة الفوضى، وكان استقدامهم في مطلع القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر للميلاد في عهد السلطان بدر بن محمد المردوف الكثيري المتوفي سنة (١١٢٠هـ/١٧٠٨م). السقاف: إدام القوت، المصدر السابق، ص١١٢.

(٢) علي بن ناجي بن بريك: هو علي بن ناجي بن عمر بن بريك الأول الملقب بـ(القحوم)، حكم الإمارة البريكية من عام (١١٩٣ - ١٢٢٠هـ/ ١٧٧٩ - ١٨٠٥م) بعد وفاة والده، ويعد المؤسس الحقيقي للإمارة البريكية، وشهدت في عهده توسعاً إلى خارج مدينة الشحر. الجوهي: خالد حسن، إمارة آل بن بريك في الشحر، رسالة ماجستير، كلية التربية، المكلا، جامعة حضرموت، ٢٠٠٥م، ص٢٥، ٢٦.

(٣) عبدالنبي: لم تتم الإشارة إليه في شجرة أنساب الأسرة الكسادية الحاكمة للمكلا، وربما يكون اسمه هذا لقباً لأحد أبناء عبدالحبيب الكسادي.

على ساحل البحر سماه (حصن عبدالنبي)، كما عاهد ابن بريك أهل المكلا على نصرة عمه صلاح الكسادي الذي استقر بها واستوطنها وبجهوده تمكن من وضع اللبنات الأولى لتأسيس الإمارة الكسادية فيها[١].

وبالتمعن والتدقيق في مضمون هذه الروايات وما تحويه من تضارب في التفاصيل والتواريخ يمكن من خلالها استنتاج بعض الحقائق حول قيام الإمارة الكسادية وتطورها، ومن هذه الحقائق أن المكلا كانت مأهولة بالسكان قبل قدوم الكسادي إليها، والدليل على ذلك ما ذكرته الروايات السابقة بأن قدوم جد آل كساد إلى المكلا كان يمنح العكابرة وبني حسن جزءاً من الرسوم الجمركية التي يقوم بتحصيلها في المكلا مقابل قيامهم بالحراسة والحماية، وإلى جانب ذلك تشير الروايات إلى صلاحية ميناء المكلا لرسوّ السفن، وقد هيأ هذا بدوره لإقامة إمارة فيها بتوفير المصدر الهام لقيامها، وهو الجانب المالي والتجاري، كما نستخلص من ذلك أيضاً أن أول إمارة يافعية تم تأسيسها في حضرموت هي الإمارة الكسادية في المكلا في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة الموافق الثامن عشر للميلاد، ويتفق الباحث مع ما ذهب إليه المؤرخ عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف في رفض الرواية الرابعة التي أشارت إلى طرد صلاح بن سالم الكسادي من غيل ابن يمين ولجوئه إلى علي بن ناجي بن بريك حاكم الشحر الذي أخذه

(١) السقاف: بضائع التابوت، المصدر السابق، ج ٢، ص١٦٠. عكاشة: قيام السلطنة القعيطية، المرجع السابق، ص٣٧. السقاف: إدام القوت، المصدر السابق، ص١١٢، ١١٣.

معه إلى المكلا وشيّد له حصناً فيها بالتعاهد مع أهلها؛ مما ساعده في إقامة الإمارة الكسادية فيها؛ وذلك لاتفاق الرواية الثانية والثالثة على أن نشأة الإمارة الكسادية كانت في القرن الثاني عشر للهجرة الموافق الثامن عشر للميلاد، كما أن المصادر والمراجع تشير إلى أن حكم علي بن ناجي بن بريك للإمارة البريكية كان من عام (١١٩٣-١٢٢٠هـ/ ١٧٧٩- ١٨٠٥م) ويعتبر هذا التاريخ متأخراً كثيراً على قيام الإمارة الكسادية في المكلا التي نشأت في عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، كما أن تأسيس الإمارة البريكية كان في عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م أي بعد قيام الإمارة الكسادية في المكلا[١] بنصف قرن من الزمان تقريباً.

وأما الرواية الأولى والتي أشارت إلى أن جماعة من آل الجدياني نـزلوا في المكلا وأصبح كبيرهم أميراً عليها، ثم اغتاله كبير آل كساد سالم فإنها من وجهة نظر الباحث لا تتفق مع الحقائق التاريخية التي وردت في المصادر التاريخية حول تأسيس الإمارة الكسادية في القرن الثاني عشر للهجرة الموافق القرن الثامن عشر للميلاد، كما أنها لم تحدد تاريخ اغتيال آل كساد للجدياني وبداية سيطرتهم على المكلا؛ ولذلك فإن الأمر لا يبدو منطقياً بأن يقوم آل كساد في بداية حكمهم باغتيال الجدياني مما يكسبهم عداوة قبيلتي العكابرة وبني حسن الذين كانوا قد دانوا بالولاء والطاعة للجدياني ومنحوه جزءاً من الرسوم الجمركية، ومما يؤيد ما ذهب إليه الباحث في ذلك هو أن الروايات

(١) باحسن: عبدالله بن محمد بن أبي بكر جمل الليل، نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، ج ٢، مخطوط رقم (٢٢٠١) مكتبة الأحقاف تريم، ص٩٧. السقاف: بضائع التابوت، المصدر السابق، ج ٢، ص١٥٧.

الأخرى لم تشر إلى حدوث أي عداء بين قبيلتي العكابرة وبني حسن وآل كساد بل أفادت بوجود تعاون وثيق بينهما.

وفيما يتعلق بالرواية الثانية والتي أفادت بأن آل كساد نـزلوا في تريم وبناء على نصيحة أحد أوليائها توجهوا إلى المكلا، فالباحث يرى أن بها اضطراباً في تحديد تاريخ وصولهم إلى المكلا، فقد أشارت إلى أنه كان في أواخر القرن الحادي عشر أو بدايات القرن الثاني عشر للهجرة، وكذلك فيما يتعلق بممارسة التجارة، فالمصادر التاريخية تشير إلى أن المكلا ظلت فترة طويلة من الزمن خيصة للصيادين، وأنها لم تصبح مدينة تجارية إلا في عهد آل الكساد، علاوة على ذلك ذكرها لقيام فخذ (ذي ناخب) بتوفير الحماية للسفن التجارية، فهذا يتنافى مع ما أوردته المصادر التاريخية بأن قبيلتي العكابرة وبني حسن هي من كانت تقوم بتوفير الحراسة والحماية للصيادين وقواربهم منذ أن كانت المكلا خيصة، وأنها استمرت في ذلك حتى سيطرة آل كساد على المكلا حيث ظلوا يدفعون للعكابرة وبني حسن جزءاً من الرسوم الجمركية، فضلاً عن أن المؤرخ السقاف يشير في مخطوطه إدام القوت أيضاً بأن مقدم (ذي ناخب) إلى تريم كان عام ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م ويعتبر هذا تاريخ متأخراً على قيام الإمارة الكسادية.

ويميل الباحث إلى أن الرواية الثالثة التي أشارت إلى أن الحامية الكسادية التي كان مقرها في الديس والحامي هي الأقرب إلى الصواب، لا سيما وأنها لا تحتوي على أي تناقض إذا ما قورنت بالروايات الأخرى، فضلاً على أنها تبدو رواية منطقية؛ لأن الحاميات اليافعية كانت تكون الجيش الكثيري، ثم سيطرت على الحكم في مناطقها بعد ضعف الدولة الكثيرية وسقوطها ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م، كما

أن تأسيس الإمارة الكسادية لم يأت من فراغ وإنما جاء عبر استيطان أفراد من الأسرة الكسادية في مدينة المكلا كانوا يعملون على كسب حب واحترام السكان لهم فيها، وذلك عندما كان سالم بن صلاح الكسادي يتردد في بداية الأمر كربان سفينة تجارية عليها قبل أن ينتقل إليها أفراد من الأسرة الكسادية ويستوطنون فيها، وأنه كان واضع اللبنات الأولى لتأسيس الإمارة الكسادية، ثم جاء من بعده ابنه أحمد الذي أسسها في عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، وهذا الأمر مثبوت في شجرة أنساب حكام الأسرة الكسادية الموجودة في ملاحق هذه الرسالة، حيث وردت أسماء هاتين الشخصيتين كمؤسسين لهذه الإمارة، كما أن المراجع لم تشر إلى نشوء خلافات بين الكسادي وسكان المكلا من العكابرة وبني حسن بل حصل تفاهم واتفاق بين الجانبين، وكسب الكسادي حب واحترام العكابرة وبني حسن وحصولهم على جزء من الضرائب والرسوم الجمركية التي كان يقوم الكسادي بتحصيلها، وذلك اعترافاً منه بحقوقهما القبلية في المكلا، وهذا يدل على حسن سياسة الكسادي وحنكته السياسية في إدارة الأمور، كما أن من دلائل ترجيح هذه الرواية على غيرها من الروايات الأخرى هو أنه لا يوجد تناقض بينها وبين الرواية الأولى والثانية فضلاً عن أن هناك مجموعات من آل الكسادي المنتمين إلى الأسرة الكسادية التي أسست هذه الإمارة في المكلا لا يزالون يسكنون في الحامي والديس الشرقية ويشكلون جزءاً من نسيجها الاجتماعي حتى يومنا هذا، وقد تمت سيطرتهم على الحكم في الحامي والديس الشرقية كحامية عسكرية متواجدة فيها عقب سقوط الدولة الكثيرية في حضرموت.

المبحث الثاني

الاهتمام الكسادي بالمكلا

تمت الإشارة سابقاً بأن المكلا كانت قبل قدوم آل كساد إليها قرية صغيرة ومكاناً لتجمع قوارب الصيادين الذين يقيمون في أكواخها أو في الجبال المحيطة بها، لكنها ظلت بعيدة عن مسرح الأحداث السياسية في حضرموت لفترة طويلة من الزمن لعدم أهميتها من ناحية وقربها من مدينة الشحر بشهرتها التاريخية منذ ما قبل الإسلام وموقعها على الساحل الحضرمي، فضلاً عن أنها تتوسط طرق التجارة البرية التي تربط خط القوافل بين عُمان والمهرة من جهة حضرموت، والأقاليم الغربية حتى عدن من جهة ثانية[١]، كما أن الشحر كانت أيضاً عاصمة للحكومات الحضرمية التي تستقل بشؤون الساحل الحضرمي، ولذلك قدم إليها التجار والعلماء والأدباء للإقامة فيها[٢]، ومن الأسباب التي أدت أيضاً إلى ابتعاد المكلا عن الأحداث السياسية موقعها البعيد عن خط القوافل التجارية والبرية، وطرق تنقل الناس بين مدن وقرى ساحل حضرموت، فضلاً عن انعدام المياه الصالحة للشرب فيها[٣] .

وإذا كانت هذه العوامل قد أسهمت في إبعاد المكلا عن مسرح الأحداث السياسية في حضرموت، فإن هناك عوامل أخرى دفعت بها

(١) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص٣٠.
(٢) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ١٦٤.
(٣) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص٣١.

نحو التطور في فترة وجيزة قاربت المائة والخمسين عاماً، فقد حدث تغير كبير في الأوضاع السياسية في حضرموت تمثل في اضطراب الأمن، وانعدام الاستقرار، وانتشار الحروب القبلية في جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد نجمت عن كل هذه التغيرات في الأوضاع السياسية أضرار بالغة بالتجارة؛ بأن زادت المكوس الجمركية، وظهرت حركات القرصنة على الطرقات، وانتشرت عمليات السلب والنهب للممتلكات(١)، ونتيجة لذلك تم الاهتمام بالتجارة البحرية التي اتسعت كثيراً، وحصلت هجرات من حضرموت إلى شرق آسيا والهند وشرق إفريقيا، ترتب على تلك الهجرات أن بدأت حضرموت تعتمد على المنتجات الخارجية القادمة إليها من تلك البلدان، وقد ساهم هذا في أن تفقد الشحر بعضاً من أهميتها التاريخية لمصلحة المكلا(٢).

ومن العوامل التي أسهمت أيضاً في بروز المكلا على مسرح الأحداث السياسية في حضرموت، كان ظهور دويلات العشائر في حضرموت بعد ضعف السلطة المركزية في صنعاء، وانهيار السلطة المحلية في حضرموت ممثلة في السلطنة الكثيرية الأولى، حيث أدت كل هذه الأحداث إلى بروز النزاعات والصراعات بين العشائر في مساعيها لتأسيس كيانات سياسية لها تحتفظ بوجودها وتمارس فيها نفوذها، وفي خضم هذه الأحداث كان لموقع المكلا، وحصانتها الطبيعية، وميناؤها الملائم لرسوّ السفن في معظم فصول السنة دور في اجتذاب السكان إليها وإدخالها في معمعان الأحداث السياسية في

(١) عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص١٥.
(٢) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص٣١.

حضرموت[١]، وقد قام آل كساد بدور كبير في تطوير المكلا من خلال اهتمامهم بتوفير الأمن والاستقرار، وإنشاء السلطة السياسية فيها، والعناية بالجوانب التجارية والعمرانية.

أولاً: الإجراءات الكسادية لإقرار الأمن وتنظيم السلطة السياسية في المكلا:

استفادت الأسرة الكسادية من الأوضاع السياسية القائمة في حضرموت حينذاك في تثبيت سلطتها في المكلا، فقد كانت المكلا تقع تحت نفوذ قبيلتي العكابرة وبني حسن وفقاً للحقوق القبلية المتعارف عليها في حضرموت، وكانت هاتان القبيلتان تفرضان الضرائب على الصيادين المقيمين فيها، والذين قاموا ببناء أكواخ سكنية لهم فيها ليقطنوها في مواسم صيد الأسماك، وتدريجياً بدأ الناس ينتقلون إلى المكلا للاستقرار فيها بشكل دائم ولا سيما بعد إقامة ضريح الشيخ يعقوب بن يوسف بها، واستيلاء الكسادي عليها، وظل آل كساد يدفعون جزءاً من الضرائب لهاتين القبيلتين بقصد ضمان ولائهم لها وعدم إخلالهم بالأمن والاستقرار في المكلا وضواحيها، ولتعزيز السلطة الكسادية في المكلا قام آل كساد ببناء حصن كبير لهم في المكان الذي كان فيه مبنياً بيت الجدياني، حيث اتخذوا من هذا الحصن[٢] مقراً لإدارة شؤون الإمارة، وتدريجياً انتقلت السلطة إلى أيديهم وقبضوا بزمام الأمور فيها وأصبحوا حكاماً عليها[٣].

---

(١) الخضر وبن بدر، المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص٣٢.

(٢) حصن آل كساد: توجد في موقع هذا الحصن حالياً مدرسة ابن خلدون للتعليم الأساسي بجوار مقبرة يعقوب.

(٣) الناخبي: رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص١٠١.

وكان من أهم إنجازات آل كساد السياسية في تلك المرحلة هو تمكنهم من تحويل شكل السلطة السياسية في المكلا من سلطة سياسية تدار وفقاً للأعراف والتقاليد القبلية إلى سلطة سياسية تتوفر فيها بعض مقومات الدولة، وأصبح أبناء الأسرة يتوارثون الحكم ويعملون على تنظيم الجهاز الإداري فيها، حيث قاموا بتعيين مستشارين ومساعدين للنقيب في إدارة الإمارة، وقضاة للفصل في قضايا النزاعات التي تنشب بين المواطنين، كما تم أيضاً تعيين حاكم للسوق، وقادة للجيش، ونواب[١] في بعض مناطق الإمارة.

ومن الإجراءات السياسية التي أسهمت في تعزيز السلطة الكسادية اتخاذ المكلا عاصمة للإمارة الكسادية فازداد الاهتمام بها، وحرص حكامها على تدبير شؤون سكانها، وحماية حقوقهم ومصالحهم، ونشر العدل بينهم[٢]، ولم تقف الإجراءات الكسادية عند هذه الحدود بل قام آل كساد بالعديد من الإصلاحات التي أسهمت في إبراز المكلا وتعزيز الأوضاع فيها مستفيدين في ذلك من الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في حضرموت وبخاصة في مدينة الشحر التي كانت تتنازعها الأفخاذ اليافعية، حيث قام آل كساد بتوسيع نفوذ إمارتهم إلى ضواحي المكلا، والقرى القريبة منها مثل فوَّة، وبروم، والحرشيات،

(١) من النواب الذين عينهم آل كساد على المناطق المختلفة التابعة للإمارة الكسادية ففي دوعن الشيخ صالح بن محمد بن حسين بن مطهر، ثم قائد الجيش مجحم بن علي الكسادي، وفي منطقة ثلة المشايخ آل عمر باعمر، وفي الحامي والديس الشرقية سالم بن أحمد بن عبدالرحمن الكسادي، كما أسند إلى رؤساء القبائل في بقية المناطق حكم مناطقهم مع اعترافهم بالتبعية الاسمية للإمارة الكسادية.

(٢) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص٣٨.

وثلة، وقد تم ذلك برضى وموافقة حكام ورؤساء هذه المناطق والتصالح معهم[١]؛ وذلك لضمان ولاء هؤلاء الحكام والرؤساء للإمارة، كما هدف نقباء آل كساد من ذلك أيضاً إلى تأمين الحدود الشمالية للإمارة، وتأمين حاجة المكلا من المياه والمواد الغذائية من هذه المناطق، أما الحكام والرؤساء فقد كانوا يهدفون من وراء إلحاق مناطقهم بالإمارة الكسادية إلى الحصول على بعض الامتيازات المالية والمتمثلة في الإعفاء من بعض المكوس الجمركية في ميناء المكلا وحصولهم على جزء منها، فضلاً عن رغبتهم في البقاء حكاماً وزعماء لمناطقهم.

لم يقف الطموح الكسادي في توسيع الإمارة عند هذه الحدود بل تخطاها إلى مناطق بعيدة ففي عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م أرسلوا حملة إلى وادي دوعن[٢] بقصد توسيع حدود الإمارة[٣]، وتحقيق جملة من المكاسب السياسية والاجتماعية والمالية منها ما يلي:-

(١) الحصول على اعتراف القبائل القريبة من المكلا بالإمارة الكسادية .
(٢) تأمين حدود الإمارة من هجمات تلك القبائل .
(٣) خلق علاقات تجارية مع سكان هذه المناطق تسهم في زيادة الموارد الاقتصادية للإمارة .

---

(١) الخضر وبن بدر، المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص ٣٨.
(٢) للمزيد من المعلومات عن الحملة الكسادية إلى وادي دوعن راجع الفصل الثالث.
(٣) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ج ١، ص١٤٥.

(٤) توسيع الرقعة الجغرافية للإمارة الكسادية بفرض سيطرتهم على وادي دوعن.

ثانياً: الاهتمام الكسادي بتنظيم موارد الإمارة الكسادية:

لعب ميناء المكلا الدور الأكبر في تطوير المكلا، وفي رفد خزينة الإمارة الكسادية بالإيرادات المالية التي كانت تجنيها من العائدات الجمركية، ومن أصحاب السفن التي كانت تلجأ إليها للأغراض الأخرى كالتزود بالمياه، والغذاء، وإصلاح العطب فيها، وانطلاقاً من هذه الأهمية عمل الحكام الكساديون على إدخال بعض التحسينات والخدمات المتواضعة التي ساهمت في تحويل طبيعة العمل في الميناء من اصطياد إلى ميناء تجاري يستقبل السفن التجارية، ويقوم بعمليات الاستيراد والتصدير، ويقدم التسهيلات والخدمات للتجار والمهاجرين من وإلى مناطق حضرموت المختلفة والبلدان المجاورة[١] .

وفي عهد النقيب محمد بن عبدالحبيب (١٢٥٨- ١٢٦٨هـ/ ١٨٤٢-١٨٥١م) تم تنظيم إجراءات العمل في الميناء، وتنظيم الحياة في المكلا[٢]، وقد تمخض عن كل هذه الإصلاحات زيادة الضرائب، والمكوس الجمركية، وفي عائدات الخدمات المرتبطة بحركة الميناء، وازدياد النشاط التجاري فيه، بحيث شكلت هذه الإيرادات دعامة أساسية لخزينة الإمارة الكسادية ونفقاتها في القرن الثاني عشر للهجرة الموافق أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، حيث بلغ إجمالي دخل

(١) باوزير: خالد سالم، موانئ ساحل حضرموت، مطابع دار الشمال، ١٩٩٦م، ص٤٨.

(٢) الخنبشي: حارات المكلا، المرجع السابق، ص١٧.

الميناء حينذاك (عشرة آلاف ريال نمساوي شهرياً)[١].

كما اهتم الكساديون أيضاً بطريق التجارة البرية التي ترد إليها من المناطق المحيطة بها وهي بروم، وفوه، والحرشيات، وثلة باعمر، وبذلك أصبحت المكلا مركزاً أساسياً وسوقاً تجارياً مهماً[٢] للبضائع التي ترد إليها من الداخل والخارج، وترفد خزينة الإمارة بالأموال اللازمة للإنفاق على الإمارة.

ومن أجل جذب التجارة والتجار إلى المكلا قام آل كساد بتخفيض الضرائب فيها حتى أصبحت منافساً قوياً لمدينة الشحر، بل واجتذبت إليها الكثير من التجار والسكان الذين جاءوا إليها من مدن وقرى حضرموت الداخل وعدن[٣]، ولا سيما بعد تكوين السلطة السياسية، وتوفير الأمن والاستقرار، وتنظيم الأوضاع فيها، وقد أشار المؤرخ صلاح البكري إلى اهتمام النقيب صلاح بن محمد الكسادي بالمكلا قائلاً بأنه: (بذل أقصى مجهوده في تدبير شؤون الرعايا، والإشراف على مصالحهم العامة، وتنظيم الجيش، وكانت حالة المكلا يومئذٍ أحسن من الشحر وأكثر رخاء وأوفر راحة... إلخ)[٤]، وبذلك انتعشت عمليات البيع والشراء في المكلا وانتقل إليها التجار من الغيل والشحر[٥].

---

(١) باوزير: موانئ ساحل حضرموت، المرجع السابق، ص١٤٧.
(٢) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص٤٠.
(٣) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ج ١، ص١٤٥، ١٤٦. باوزير: المرجع نفسه، ص ١٦٨.
(٤) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ج١، ص١٤٥، ١٤٦.
(٥) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص٥٠.

ثالثاً: الاهتمام الكسادي بحماية المكلا وعمرانها:

كانت المباني القديمة والقريبة من ميناء المكلا وتلك المجاورة لمقبرة وضريح الشيخ يعقوب، والواقعة في اللسان الرملي الممتد في داخل البحر تمثل النواة التي قامت حولها مدينة المكلا، وفي هذه الرقعة من الأرض يوجد حصن الإمارة الكسادية الذي كان مقر الحكم والحكام، ومن أجل توفير الحماية للإمارة وللميناء وللناس وممتلكاتهم قامت الأسرة الكسادية الحاكمة ببناء عدد من القلاع الصغيرة في الجانب الشرقي من الجبل المطل على المكلا(١).

كما أقام الكساديون أيضاً في نهاية الامتداد العمراني من الجهة الغربية من المكلا سوراً يبلغ طوله حوالي (مائة وخمسين متراً)، وارتفاعه (خمسة أمتار)، ويمتد من ساحل البحر إلى أسفل الجبل، وتوجد به بوابة واحدة فقط في الناحية الجنوبية للدخول إلى المكلا والخروج منها، كما أُقيم على السور عدد من أبراج الحراسة لصد أي هجوم على المكلا(٢).

أدت هذه الإجراءات الأمنية وغيرها من الإجراءات الكسادية السابقة إلى إحساس الناس والتجار بالأمن والأمان والاطمئنان على حقوقهم وممتلكاتهم، كما أدى نمو الحركة التجارية في الميناء إلى انتعاش التجارة في المكلا، وقدوم أعداد أخرى جديدة من التجار والعمال إليها للاستقرار فيها، وقد تطلب ذلك بالضرورة توسعاً في

(١) باحاج: موانئ اليمن وخليج عدن، المرجع السابق، ص٢١٦، ٢١٧.
(٢) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص٤٩.

العمران ببناء البيوت والمستودعات والمحلات التجارية، وكانت سياسة الإمارة الكسادية تقوم على تشجيع وترغيب التجار والسكان على ذلك بمنحهم مساحات من الأرض مجاناً لبناء المنازل عليها وتخفيض الضرائب والرسوم، ولكن لم يتجاوز التوسع العمراني[١] أكثر من كيلو مترين خلال القرن الثالث عشر الهجري الموافق القرن التاسع عشر الميلادي، ابتداء من القصر (الحصن) الموجود في اللسان باتجاه الغرب عند نهاية المنطقة العمرانية[٢]، ولعل ذلك يعود إلى ضيق المساحة الواقعة بين السلسلة الجبلية المطلة على المكلا وشاطئ البحر.

(١) للمزيد من المعلومات حول الجوانب العمرانية راجع الفصل السادس.
(٢) باحاج: موانئ اليمن وخليج عدن، المرجع السابق، ص٢١٧، ٢١٨.

المبحث الثالث

دور أبرز الأمراء الكساديين في تأسيس وبناء الإمارة الكسادية

تعاقب على حكم الإمارة الكسادية عدد من الأمراء الذين حملوا لقب (النقيب)[١]، وقد دامت هذه الإمارة حوالي (مائة وثمانين عاماً ميلادياً تقريباً)، وقد تولى عرش الإمارة في البداية كبير آل كساد في المكلا واسمه سالم الكسادي، حتى تم اغتياله على يد سالم بن أحمد بجحم الكسادي الذي حكم المكلا حتى وفاته بعد عام واحد من ذلك، حيث خلفه ابنه صلاح؛ لينتقل حكم الإمارة من بعد وفاته إلى ابنه عبدالحبيب[٢] باعتباره الأكبر سناً من إخوانه عبدالرب، وعبدالنبي، وبعد وفاة عبدالحبيب[٣] انتقل حكم الإمارة الكسادية إلى أخيه عبدالرب بن صلاح الذي استمر في الحكم حتى وفاته ١٢٥٨هـ/

(١) لفظ النقيب: هو كالعريف على القوم، والمقدم عليهم، يتعرف وينقب على أخبارهم، والنقيب في اللغة الأمين والكفيل، وقيل: النقيب الرئيس الأكبر، نقلاً عن ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، الجزء الرابع عشر، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص٢٥٢. ويرى الباحث بأن كلمة النقيب تعني (الرئيس الأكبر) أي الأمير على القوم.

(٢) ذكرت بعض الروايات أن من تولى حكم الإمارة الكسادية بعد وفاة صلاح ابنه عبدالرب، ثم عبدالحبيب، ومن وجهة نظر الباحث فإن من تولى الإمارة هو عبدالحبيب، ثم أخوه عبدالرب، ثم حصل النزاع بعد تولي صلاح بن عبدالرب عندما ناصبه العداء ابن عمه محمد بن عبدالحبيب لاعتقاده بأحقيته في الحكم.

(٣) سكتت المصادر والمراجع عن الإشارة إلى فترات من تولوا حكم الإمارة قبل عبدالرب بن صلاح.

١٨٤٢م، ثم انتقل الحكم بعد ذلك إلى ابنه صلاح، إلا أن ابن عمه محمد بن عبدالحبيب الكسادي نازعه في الحكم، وقد انتهى ذلك النزاع بالاحتكام إلى حاكم عدن البريطاني، وفي رأي الباحث أن ذلك يعود للأسباب الآتية:-

١- رغبة الطرفين في كسب ود حاكم عدن وحكومته .
٢- قدرة حاكم عدن البريطاني على فرض حكمه في النزاع على الطرفين .
٣- اعتقاد طرفي النزاع بعدم حيادية القوى السياسية في حضرموت .
٤- أن السياسات البريطانية خلال تلك الفترة تقتضي عدم التوغل في المناطق الداخلية لعدن؛ خوفاً من هجمات القبائل البدوية عليها .

ويبدو للباحث أن حاكم عدن البريطاني حرص على إصدار حكمه لصالح محمد بن عبدالحبيب الكسادي، والذي كان قد سلب منه الحكم عندما تولى عرش الإمارة الكسادية عمه عبدالرب بن صلاح الكسادي بعد وفاة أبيه عبدالحبيب الكسادي؛ لغرض استقرار الأوضاع في الإمارة الكسادية لوقوعها على طريق المواصلات البحرية بين بومباي وعدن، وجدير بالإشارة إليه أن نقول: إن آل عبدالرب تقبلوا الحكم الصادر من حاكم عدن البريطاني ظاهرياً، ولكنهم أخذوا في الباطن يخططون للتخلص من النقيب محمد بن عبدالحبيب الكسادي الذي أفشل مخططاتهم واستمر في حكم الإمارة الكسادية حتى وافته المنية عام ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م، وقام بالأمر من بعده ابنه النقيب صلاح بن محمد الكسادي الذي يعد من أشهر الأمراء الكساديين، وقد استمر في حكم الإمارة الكسادية حتى وفاته عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، وانتقل

حكم الإمارة الكسادية إلى ابنه النقيب عمر بن صلاح الكسادي الذي حكم الإمارة لمدة ثماني سنوات حافلة بالمشاكل، وانتهت باستيلاء السلطان القعيطي عليها بمساعدة بريطانيا في عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، وإجبار النقيب عمر بن صلاح الكسادي على مغادرة إمارته منفياً إلى زنجبار في شرق إفريقيا[١].

أولاً: عهد النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي:

تولى النقيب عبدالرب بن صلاح بن سالم بن أحمد بن سالم الكسادي حكم الإمارة الكسادية بعد وفاة أخيه الأكبر عبدالحبيب، وقد أشارت المصادر والمراجع إليه عند حديثها عن علاقة الإمارة الكسادية بالإمارة البريكية[٢]، فذكرت أنه في عهده ساءت العلاقة بين الإمارتين ودخل النقيب عبدالرب في حروب مع الإمارة البريكية بل وخلق لها الكثير من المتاعب، ففي عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م استولى النقيب عبدالرب على مجموعة من السفن التجارية القادمة من سواحل شرق إفريقيا إلى الشحر، مثيراً بذلك غضب واستياء المسؤولين في الإمارة البريكية الذين قرروا الانتقام من الكسادي بتجهيز جيش لمهاجمة مدينة المكلا مقر الإمارة الكسادية، وتحرك جيش الإمارة البريكية من مدينة الشحر بطريق البر حتى وصل إلى الحرشيات -إحدى ضواحي مدينة المكلا من الناحية الشمالية- وفيها التقى الجيش الكسادي حيث دارت معركة بينهما انتهت بهزيمة الجيش الكسادي، وتقدم جيش الإمارة

(١) السقاف: إدام القوت، المصدر السابق، ص١١٠، ١١١.

(٢) للمزيد من المعلومات عن تفاصيل العلاقات بين الإمارة الكسادية والإمارة البريكية راجع الفصل الثالث.

البريكية نحو مدينة المكلا[١].

ومن ضمن المتاعب التي خلقها النقيب عبدالرب بن صلاح لآل بن بريك هو قيامه أيضاً بتحريض ومساعدة محسن بن جابر بن همام[٢] لاسترجاع مدينة غيل باوزير[٣] من آل بن بريك، حيث دارت بينهما معركة في منطقة (الحدبة) حاقت فيها الهزيمة أيضاً بالجيش الكسادي، ولم يكتف النقيب عبدالرب بذلك بل هاجم مدينة الشحر عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م واشتبك مع آل بن بريك أمام المدينة في معركة (المشراف) التي انتهت أيضاً بهزيمة الجيش الكسادي فيها[٤].

استمر الصراع بين النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي وبين ناجي بن علي بن بريك حتى عام ١٢٤٣هـ/ ١٨١٥م عندما اتفق الطرفان على تحكيم سعيد بن سلطان حاكم مسقط في الصراع القائم بينهما، وهناك توفي الأمير ناجي بن علي[٥]، وتوقفت المباحثات، وعاد النقيب عبدالرب بن صلاح إلى المكلا حيث استمر في حكم الإمارة

---

(١) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص١٨٤. باحسن: نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، المصدر السابق، ص٢٠٠.

(٢) كان آل همام قد قدموا من تريم إلى الشحر، ثم انتقلوا إلى مدينة غيل باوزير وبنوا منازلهم في الجهة الشمالية منها، ثم فرضوا سيطرتهم وحكمهم على هذه الجهة. نقلاً عن ابن شيخان: سامي محمد، نفحات وعبير من تاريخ غيل باوزير، جدة، السعودية، ٢٠٠٥، ص٥٥.

(٣) غيل باوزير: مدينة زراعية صغيرة تبعد عن المكلا بنحو ٤٣ كم تقريباً.

(٤) باحسن: المصدر نفسه، ج ٢، ص١٩٧، ١٩٨. باوزير: المرجع نفسه، ص١٨٢.

(٥) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص١٨٦.

الكسادية حتى وفاته ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م، وقد خلفه في حكم الإمارة الكسادية ابنه صلاح الذي تخلى عن الحكم لخصمه الأمير محمد بن عبدالحبيب الكسادي حسب قرار التحكيم الصادر عن الحاكم البريطاني بعدن في الصراع الذي كان دائراً بينهما[١].

ثانياً: عهد النقيب محمد بن عبدالحبيب الكسادي:

تولى النقيب محمد بن عبدالحبيب الكسادي حكم الإمارة الكسادية في عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م بموجب حكم التحكيم الذي سبقت الإشارة إليه، وفي عهده أخذ آل عبدالرب بن صلاح الكسادي الذين خسروا التحكيم يدبرون الدسائس والمكائد لاغتياله، فتظاهر بالنسك والانشغال بالعبادة، لكنه كان يعد العدة لهم في السر للتخلص منهم، ولهذا الغرض اشترى ذمم العبيد الذين كانوا يحرسون باب منزل (آل عبدالرب) حيث هاجمهم هو وأتباعه وهم نائمون فقتل ثلاثة عشر رجلاً منهم ومن الحاشية، في حين هرب الباقون من آل عبدالرب بن صلاح إلى السواحل الإفريقية فارين بأنفسهم، وقد حصل ذلك في السابع والعشرين من رمضان سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م[٢].

كانت المكلا في بداية عهد النقيب محمد بن عبدالحبيب الكسادي تتكون من أكواخ غير منظمة، وكان ميناؤها قليل الأهمية إلا أنه في نهاية عهده شهد تحسناً تجارياً ملحوظاً[٣]، وفي عهد النقيب محمد بن

---

(١) السقاف: إدام القوت، المصدر السابق، ص١١٠.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٠، ١١٤.
(٣) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ج ١، ص١١٧.

عبدالحبيب تم بناء حافة العبيد[١]، وفي عهده أيضاً حاول العثمانيون في عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م[٢] الاستيلاء على المكلا والشحر، كما حاولوا أيضاً احتلال بروم[٣]، إلا أن النقيب محمد تمكن من صدهم عن ذلك، بل وتمكن أيضاً حتى من صد القوات الكثيرية القادمة من حضرموت الداخل لمساندة الحملة العثمانية[٤]في الاستيلاء على ساحل حضرموت، وفي العام التالي طلب النقيب محمد بن عبدالحبيب من الحكومة البريطانية في عدن وضع إمارته تحت الحماية البريطانية خوفاً عليها من النشاط العثماني، ولكنها اعتذرت عن قبول ذلك الطلب[٥]، ولعل ذلك يعود إلى أن السياسة البريطانية في تلك الفترة تقتضي عدم التوغل في المناطق الداخلية البعيدة عن عدن، كما أن الحكومة البريطانية لم تقرر بعد فرض الحماية على ساحل حضرموت، ولم يطل العمر بنقيب المكلا بعد ذلك فقد عاجلته المنية في عام ١٢٦٨هـ/ ٢٦ أبريل ١٨٥١م[٦].

---

(١) سميت حارة العبيد؛ لأن أول بيت بني بها كان مخصصاً لعبيد آل كساد.

(٢) للمزيد من المعلومات حول الحملة العثمانية على الإمارة الكسادية راجع الفصل الثالث.

(٣) بروم ميناء صغير يقع غرب مدينة المكلا بمسافة ٣٠ كم تقريباً، وكان بندراً مشهوراً ومأموناً للسفن الشراعية في فترة الرياح الموسمية حيث كانت تلجأ إليه السفن عند هيجان الرياح واضطراب أمواج البحر، وقد قلّت أهميته بعد إنشاء ميناء المكلا. نقلاً عن السقاف. إدام القوت، المصدر السابق، ص١٠٥.

(٤) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص١٠٥.

(٥) إنجرامس: دبليو إتش، حضرموت ١٩٣٤ - ١٩٣٥م، تعريب د/ سعيد عبدالخير النوبان، عدن، ٢٠٠١م، ص٣٧.

(٦) بامطرف: محمد عبدالقادر، في سبيل الحكم، عدن، ١٩٨٣م، ص٣٢.

ثالثاً: عهد النقيب صلاح بن محمد الكسادي:

ولد النقيب صلاح بن محمد في عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م، وتولى مهام الحكم في الإمارة الكسادية بعد وفاة والده النقيب محمد بن عبدالحبيب الكسادي في عام ١٢٦٨هـ/ ٢٧ أبريل ١٨٥١م[١]، ويعد النقيب صلاح أشهر أمراء الأسرة الكسادية التي حكمت الإمارة الكسادية، ولكن المؤرخين اختلفوا في تقييمهم لشخصيته وأعماله حيث انقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول: يصف النقيب صلاح بن محمد الكسادي بالعدل والإنصاف، وبالسيرة والسلوك الحسن في تعامله مع رعيته[٢]، وأنه

---

(١) با مطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص٢٠٣٢. الناخبي: رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص ١٣٦.

(٢) وردت الكثير من الروايات التي تحكي عن عدل النقيب صلاح، ومن هذه الروايات أن الأمير عمر بن صلاح كان يتاجر في الطعام حتى أطلق عليه الناس لقب (عمر الطعام)، وفي إحدى المرات اشترى حمولة ثلاث سفن من الطعام، وبعد أن ملكها انخفض سعرها، فأراد أن يتراجع عما اشتراه من طعام، فرفع البائع أمره إلى النقيب صلاح بن محمد الكسادي الذي أحال الموضوع إلى عبدالله عجمي خير الله (حاكم السوق المختص) الذي قام باستدعاء عمر بن صلاح الكسادي والبائع؛ للنظر في القضية والفصل فيها، وبعد حضورهما أجلسهما على الأرض سوياً، وهو جالس على كرسي الحكم، وبعد الاستماع لموضوع النزاع أصدر حكمه بصحة البيع وألزم عمر بن صلاح بدفع الثمن للبائع، وكان النقيب صلاح يراقب من بُعد جلسة الحكم بالمنظار من بعيد، وبعد صدور الحكم وانصراف المتخاصمين استدعى النقيب صلاح حاكم السوق، وبعد اطلاعه على نص الحكم قال للحاكم خير الله: «لو حابيت ولدي للقيت الأكثر شراً، ولو أجلسته على الكرسي قبل فرض الحكم أو قمت له لأوجعتك ضرباً». نقلاً عن السقاف: بضائع التابوت، المصدر السابق، ص٦٩.

كان محباً لأهل العلم، ويتودد إليهم ويتقرب منهم[١]، وكان لا يحتجب عن المظلومين، بل كان يخرج في الليل متنكراً ليتفقد أحوال الرعية، وكان يعفو عن المهربين إذا تعهدوا بالإقلاع عن ذلك [٢].

ويرى **الفريق الثاني**: وهم من السادة العلويين الذين يصفون النقيب صلاح بن محمد الكسادي بقوة الشخصية، ويتهمونه بالظلم والشدة والقسوة[٣]، ولعل ذلك يعود إلى أن النقيب صلاح بن محمد الكسادي قد عين مسئولين مدنيين من غير العلويين، ومن غير الأسرة الكسادية، ومن أناس يتميزون بالعدل والإخلاص والأمانة، ويتمتعون

---

(١) يذكر ابن عبيداللاه السقاف موقعتين تثبتان محبة النقيب صلاح لأهل العلم الأولى وهي أن السيد عمر بن سميط قدم إلى المكلا لمقابلة النقيب صلاح وفي المقابلة تحدث ابن سميط للنقيب صلاح واعظاً إياه في ما سمع عنه من الشدة والقسوة، لكن النقيب صلاح برر استخدامه لها بأنها تعوضه عن الاعتماد على العسكر الذين سوف تضر كثرتهم بالرعية لكثرة نفقاتهم المالية التي سيتم تحصيلها من الرعية، وأن الشدة تزرع هيبة الدولة في نفوس الرعية فيمتنعون عن ارتكاب الجرائم والمخالفات التي تضر الدولة والمواطنين، كما أبدى النقيب صلاح استعداده للتنازل عن حكم المكلا إذ يرى السيد عمر ضرورة لذلك. والحادثة الأخرى هي أن السيد حسن بن صالح البحر رفض مقابلة النقيب صلاح لكن الأخير دخل عليه من غير استئذان وانطرح يبكي بين يديه، فتبين للسيد حسن بن صالح البحر إخلاص النقيب في تحقيق العدل داخل إمارته. نقلاً عن بضائع التابوت، المصدر السابق، ج ٢، ص٦٩، ٧٠.

(٢) الناخبي: رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص ١٠١.

(٣) اعتمد أصحاب هذا الرأي على بعض الروايات التي أوردها باحسن في نشر النفحات المسكية، وأخرى وردت عند الكندي في العدة المفيدة، وتعتبر هذه الروايات من وجهة نظرنا روايات متحاملة على النقيب الكسادي ومصدرها السادة العلويون.

باحترام المواطنين.

لكن الباحث يميل إلى تقييم الفريق الأول لشخصية وأعمال النقيب صلاح بن محمد الكسادي الذي فرض الأمن، ونشر العدل بين الناس، وكسب حب واحترام الرعية من سكان المكلا الذين أعانوه على تطويرها وازدهارها، ووقفوا إلى جانبه في الظروف الصعبة، أما فيما يتعلق باستخدامه للشدة والقوة فإن الضرورة تستوجب أحياناً استخدامها؛ لغرس هيبة الدولة في نفوس الناس لمنعهم من الإخلال بالأمن والاستقرار ومن ارتكاب الجرائم ضد المواطنين، وقد تحقق ذلك فعلاً حيث خلت المكلا في عهده من جرائم السرقة وغيرها من الجرائم الأخرى.

أما استخدامه للشدة والقسوة مع المعارضين لحكمه كمعاقبته لبعض أعيان أهل الشحر كما أوردته بعض الروايات فإنما يعود ذلك إلى وقوفهم ضده في الصراع مع السلطان غالب بن محسن الكثيري[1]، ومما سبق يتضح أن النقيب صلاح كان لا يعاقب أحداً

(١) غالب بن محسن الكثيري: ولد غالب بن محسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الكثيري في بلدة (تاربة) عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م، ويعود نسبه إلى السلطان عبدالله عمر بن بدر (بو طويرق)، ولذلك سميت الدولة الكثيرية الثانية بدولة (آل عبدالله)، وتلقى علومه الأولية على يد علماء عصره من السادة العلويين، ثم انخرط في سلك الجندية في شبام أثناء حكم السلطان عمر بن جعفر، ثم هاجر إلى حيدر أباد في الهند ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، واستقر أولاً في بلدة (صولا فور)، ثم غادرها إلى مدينة (حيدر أباد) بحثاً عن الجاه والثروة، وهناك التحق بجيش النظام، وترقّى في الرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة (الجمعدار)، ثم اشترى بلدة (الغرف) في عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م من قبيلة القرامصة، وكان ذلك =

إلا بذنب ارتكبه، وربما كانت العقوبة أحياناً تفوق حدود الذنب المرتكب؛ لأن النقيب صلاح كان يعمل حينذاك على تثبيت النظام، وهي مرحلة تستوجب استخدام الشدة والقوة، ومهما يكن من الأمر فإن النقيب صلاح تمكن من فرض الأمن والاستقرار والنظام في عاصمته المكلا.

كان النقيب صلاح شخصية سياسية وإدارية محنكة، فقد عمل على تنظيم السلطة السياسية في الإمارة فعيّن الشيخ سليمان بن عوض بن شرف وزيراً للإمارة الكسادية، واحتفظ بعمر بن سالم قيسان في عمله كاتباً للإمارة، وتفادياً لحدوث نـزاع من بعده على عرش الإمارة حرص على تعيين ابنه الأمير عمر ولياً للعهد[١]، كما أسند القضاء في عهده إلى الشيخ أبوبكر محمد بامطرف، وعين عبدالله عجمي خيرالله حاكماً للسوق[٢] للقيام بالفصل في المنازعات التي قد تنشأ بين الرعايا داخل السوق، ومراقبة المكاييل والموازين والأسعار، وبذلك تشكل من هؤلاء مجلس مصغر لإدارة شؤون الإمارة الكسادية ليرجع إليه النقيب صلاح في كثير من الحالات لأخذ المشورة وتبادل الرأي في الأمور

= بداية لتأسيس الدولة الكثيرية الثانية، ثم مد نفوذه إلى مدينة تريم، وبعدها تم الاستيلاء على سيئون عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م واستمر يحكم الدولة الكثيرية إلى أن توفي في عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م. بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص٢٥، اليزيدي: ثابت صالح، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت ١٨٤٥-١٩١٩م، جامعة عدن، دار الثقافة العربية، الشارقة، ٢٠٠٢م، ص٨٥ - ١٢٠.

(١) بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص٤٢.

(٢) السقاف: إدام القوت، المصدر السابق، ص١٤٦. السقاف: بضائع التابوت، المصدر السابق، ص٦٩.

الهامة المتعلقة بتدبير شؤون الإمارة.

كما اهتم النقيب صلاح بالتجارة[١] فعمل على تنظيم العمل والإجراءات في ميناء المكلا، ومنح الناس قطعاً من الأرض مجاناً ليبنوا عليها مساكن شخصية لهم، كما قدّم للتجار العديد من التسهيلات الإدارية والجمركية، وشجّع التجار على الانتقال إلى المكلا، وبذلك انتعشت حركة الاستيراد والتصدير فيها، وأخذت ثروة التجار والسكان في الازدياد والنمو السريع[٢]، ومن جانبهم قابل التجار هذه التسهيلات الممنوحة من النقيب صلاح بالوفاء والجميل، حيث شاركوا في تعمير عاصمة الإمارة ببناء البيوت، والمستودعات، والمحلات التجارية، والمساجد، وقد بلغ تفانيهم ووفاؤهم للنقيب صلاح أنهم كانوا يقومون بوضع أموالهم تحت تصرف النقيب صلاح في حالات الشدة والحاجة، ولا سيما عندما تتعرض الإمارة الكسادية للأخطار، ولكن النقيب صلاح كان يعتذر عن قبول ذلك لوجود المال الكافي لديه[٣].

وفي عهد النقيب صلاح بن محمد الكسادي شهدت العاصمة المكلا ازدهاراً تجارياً كبيراً حيث كانت ترد إليها السلع من الداخل والخارج، إلا أن تجارة الرقيق[٤] نمت في عهده بشكل كبير، ولكن بريطانيا تدخلت في الأمر وأجبرت النقيب صلاح وابن بريك حاكم

(١) للمزيد من التفاصيل حول التجارة راجع الفصل السادس.
(٢) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ج ١، ص١١٧.
(٣) الناخبي: رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص١٠٤.
(٤) للمزيد من المعلومات عن تجارة الرقيق في عهد آل كساد راجع الفصل السادس.

الشحر على توقيع اتفاقية في عام ١٢٨٠هـ/ ١٤ مايو ١٨٦٣م نصت على إلغاء تجارة العبيد[١]، كما عمل النقيب صلاح على الاهتمام بتشجيع الحرف والصناعات داخل مدينة المكلا وخاصة صناعة السفن[٢] والحرف المرتبطة بها، وفي عهد النقيب اتسعت المدينة وازدادت الحارات اتساعاً[٣] وازدحاماً بالسكان[٤].

كان النقيب صلاح أيضاً شخصية سياسية وعسكرية محنكة، فقد دخل في تحالفات عديدة مع القوى السياسية المختلفة في حضرموت واضعاً مصالح الإمارة الكسادية في المقام الأول، وكانت معظم هذه التحالفات موفقة في تحقيق الأهداف المرجوة منها، واتسمت بالتغير وعدم الثبات، فقد كان يتحالف تارة مع عصبته اليافعية ضد آل كثير، وتارة أخرى يقف إلى جانب آل كثير في التصدي لأبناء عمومته اليافعيين، ويبدو أن الظروف التي كانت تمر بها الإمارة الكسادية وتلك التي تمت فيها هذه التحالفات السياسية والعسكرية هي التي كان لها الدور الحاسم في رسم سياسة التحالفات في هذه الإمارة وفي تحديد خطورة الخصم ونوعية التحالف والحليف.

وفي عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م عقد النقيب صلاح الكسادي تحالفاً مع فخذ الشناظير من يافع لبعوس الذين يسكنون بـ(غيل بن يمين)، وقد

---

(١) طه: جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، المرجع السابق، ص٢٠٥.
(٢) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص٥٣.
(٣) للمزيد من المعلومات عن الحرف والصناعات والاتساع العمراني والسكاني راجع الفصل السادس.
(٤) الناخبي: رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص٩٣.

نصت هذه الاتفاقية على تبعية الشناظير للإمارة الكسادية، والامتناع عن ممارسة تجارة الرقيق، والاحتكام إلى النقيب صلاح الكسادي في الخلافات التي تشب فيما بينهم[١].

كما قام النقيب صلاح بتكليف من والده في عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م لمواجهة الحملة العثمانية[٢] التي قصدت ميناء بروم[٣] فصدّها عن تحقيق أهدافها.

كما عقد النقيب صلاح تحالفاً مع السلطان عوض بن عمر القعيطي لانتزاع مدينة الشحر من يد السلطان غالب بن محسن الكثيري الذي استولى عليها عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، وفي نفس العام أيضاً عقد النقيب صلاح تحالفاً آخر مع القعيطي لإخراج آل عمر باعمر من غيل باوزير لتحالفهم مع آل كثير[٤].

ثم حدث انقلاب في استراتيجية التحالف[٥] عندما حصل تصدع في الجبهة اليافعية الكسادية القعيطية بعد فشل حملتها المشتركة على مدينة سيئون في وادي حضرموت في عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، فتباعد

---

(١) اتفاق بين أبوة الشناظير والنقيب صلاح، المركز الوطني للوثائق، سيئون، وثيقة رقم (١٦).

(٢) للمزيد من المعلومات عن الحملة العثمانية على الإمارة الكسادية راجع الفصل الثالث.

(٣) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ج ١، ص١٢٩.

(٤) السقاف: بضائع التابوت، المصدر السابق، ج٢، ص٥٣، ٧٣. باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص١٩٦.

(٥) للمزيد من التفاصيل عن التحالفات بين الإمارة الكسادية وحروبها مع القوى المحلية في حضرموت راجع الفصل الثالث.

الحليفان وتقارب العدوان بتحالف الكسادي مع الكثيري لطرد القعيطي من مدينة الشحر[١].

كما اهتم النقيب صلاح بن محمد الكسادي بتوسيع حدود إمارته فأرسل حملة عسكرية إلى وادي دوعن في عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م[٢].

كما استفاد من تحالفه مع آل كثير والعوالق بأن أصبحت منطقة (معيان المساجدة)[٣] و(غيضة الريان)[٤] في عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م مناطق تابعة للإمارة الكسادية[٥]، إلا أن العمر لم يطل بعد ذلك بالنقيب صلاح فقد وافته المنية في سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م[٦].

رابعاً: عهد النقيب عمر بن صلاح الكسادي:

هو ابن النقيب صلاح بن محمد الكسادي، وكان مولده في عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م[٧]، وقد تولى عرش الإمارة الكسادية يوم وفاة والده

---

(١) بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت العام، المرجع السابق، ص١١٠.
(٢) الناخبي: رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص١٣٦.
(٣) معيان المساجدة: قرية تنسب إلى المشايخ آل المسجدي، وتقع في الشمال من مدينة الشحر، وهي من المناطق الزراعية، ويبدو أن النقيب أراد الاستفادة من محاصيلها الزراعية، ويمكن من خلالها مراقبة تحركات السلطان القعيطي.
(٤) غيضة الريان: منطقة تقع إلى الشرق من المكلا، وتكثر فيها الخضرة عقب سقوط الأمطار، ويقع فيها المطار القديم الذي يحمل اسمه، ولعل الكسادي أراد من استيلائه عليه أن تكون خط دفاع أولي لمدينة المكلا، والاستفادة منها كمنطقة صالحة للرعي والزراعة في وقت سقوط الأمطار.
(٥) بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص٩٨.
(٦) الناخبي: رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص١٣٦.
(٧) بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص٧٧.

في شهر ربيع الأول ١٢٩٠هـ/ مايو ١٨٧٣م، وكان عمره يومئذ (واحداً وأربعين عاماً)[١]، ولا يقل النقيب عمر عن أبيه في الحزم والإخلاص والتفاني في خدمة شعبه، ولما كان والده قد عيّنه ولياً للعهد في حياته فقد استفاد من فترة احتكاكه بوالده واكتسب خبرات وتجارب في شؤون الحكم والإدارة وقيادة الجيوش[٢]، إلا أن خبرته وتقديره لبعض الأمور لم يكن بمستوى والده[٣]، فضلاً عن أنه تولى عرش الإمارة الكسادية وهي تعاني مشكلات عديدة، فقد كان وادي دوعن يموج بالفتن، وكان نائبه على وادي دوعن مجحم بن علي الكسادي يخوض حرباً ضد القبائل السيبانية فيها، وكان مشايخ آل العمودي أصحاب النفوذ القوي في وادي دوعن ينازعونه أيضاً السلطة في ذلك الوادي، وكان السلطان الكثيري يمدهم بالسلاح والمال، كما أن السلطان عوض بن عمر القعيطي حاكم الشحر كان يدبر للكسادي المتاعب في وادي دوعن وفي المناطق المحيطة بالمكلا، فقد حرض القبائل المحيطة بالمكلا على القيام بأعمال السلب والنهب في الإمارة الكسادية، وبسبب هذه المشاكل والاضطرابات لم يتمكن النقيب عمر بن صلاح الكسادي من الاهتمام بإصلاح الأوضاع السياسية والمالية التي أخذت في التدهور متسببة في إضعاف الإمارة[٤].

وبالرغم من ذلك اهتم النقيب عمر بإنشاء بعض المراصد، وببناء

(١) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ج ١، ص١٤٥.
(٢) باوزير: سعيد عوض، معالم تاريخ الجزيرة العربية، مصر، ١٩٥٤م، ص٢٧٦.
(٣) بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص٧٧.
(٤) المرجع نفسه، ص٧٧.

بعض الحصون بين المكلا والحرشيات[١]، وذلك للدفاع عن مدينة المكلا من الأطماع القعيطية.

لم يمتلك النقيب عمر بن صلاح الكسادي كوالده الحنكة السياسية في إدارة شؤون الإمارة وفي إدارة النـزاع مع السلطان عوض بن عمر القعيطي[٢] ذي الأطماع التوسعية في الممتلكات الكسادية، وكان ظاهر ذلك النـزاع هو مطالبة القعيطي من النقيب عمر بن صلاح الكسادي سداد مبلغ (مائة وستين ألف ريال) استدانها والده صلاح بن محمد من السلطات القعيطية أثناء الحملة العسكرية المشتركة إلى وادي حضرموت[٣].

وفي فترة احتدام الخلاف القعيطي الكسادي توفي وزير الإمارة الكسادية الشيخ سليمان بن عوض بن شرف الذي كان معروفاً بالدهاء والحنكة والإخلاص للنقيب في النصح، وقد حل مكانه في هذا المنصب الرفيع الشيخ سالم بن عمر شماخ، ولكنه لم يكن بنفس الكفاءة والاقتدار، ومما زاد الأمر تعقيداً أن مستشار الإمارة الشيخ عمر قيسان طريح الفراش منذ عهد النقيب محمد بن عبدالحبيب، ولم يعد يقوى على مزاولة عمله أو القيام بمهامه والتي تكلف بتسييرها الشيخ مبارك باني بأمر من النقيب عمر بن صلاح الكسادي، ولكن إمكانياته العقلية لا ترقى إلى مستوى إمكانيات الشيخ عمر قيسان[٤].

---

(١) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ج ٢، ص٥.
(٢) للمزيد من المعلومات عن النـزاع الكسادي القعيطي راجع الفصل الرابع.
(٣) باوزير: معالم تاريخ الجزيرة العربية، المرجع السابق، ص٢٧٦. بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص٩٢.
(٤) با مطرف: المرجع نفسه، ص ٧٨.

وفي ظل كل هذه الظروف والنـزاعات تشتت جهود النقيب عمر بن صلاح باحثاً عن حليف يقف إلى جانبه في التصدي للأطماع القعيطية في ممتلكاته حتى ولو كان هذا الحليف من أعداء وخصوم الماضي، وانطلاقاً من ذلك تحالف النقيب عمر في جمادى الأولى عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م مع آل كثير الذين أرسلوا له قوات من جيشهم للوقوف إلى جانبه في صراعه مع السلطان القعيطي، وكانت السلطات البريطانية في عدن تراقب عن كثب هذه الأحداث وما سوف يتمخض عنها، إلا أنها في الأخير تدخلت في ذلك النـزاع وانحازت إلى جانب السلطان القعيطي، بل ولجأت إلى استخدام القوة العسكرية لإنهاء الإمارة الكسادية، مما اضطر النقيب عمر بن صلاح إلى التوقيع على شروط التسليم لمدينة المكلا للإنجليز[١]، وغادرها في عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م منفياً إلى عدن، وفي السابع من ديسمبر غادر عدن متوجهاً إلى منفاه في زنجبار لاجئاً عند سلطانها برغش بن سعيد الذي استقبله وأحسن معاملته، بل وخصص له راتباً شهرياً يقتات منه، وظل النقيب عمر بن صلاح رافضاً استلام قيمة المكلا التي خصصتها له بريطانيا، كما ظل مطالباً باستعادة بلاده[٢]ولكن دون جدوى، فقد عاش بقية حياته في زنجبار حتى وافته المنية في عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م[٣].

(١) للمزيد من المعلومات عن التدخل البريطاني في النـزاع الكسادي القعيطي وانحيازها إلى جانب السلطان القعيطي، واستخدام السلطات البريطانية للقوة في إنهاء الإمارة الكسادية راجع الفصلين الرابع والخامس.
(٢) بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص١٥٤ - ١٥٥.
(٣) المرجع نفسه، ص١٤١ - ١٥٤.